الفصل العاشر

النموذج العاشر
التربية من أجل إبراز أهمية الإدراك الحسى والطبيعة فى التعلم من التراث الأوروبى فى القرنين السابع عشر الميلادى والثامن عشر الميلادى

الفصل العاشر
النموذج العاشر
التربية من أجل إبراز أهمية الإدراك الحسى والطبيعة فى التعلم من التراث الأوروبى فى القرنين السابع عشر الميلادى والثامن عشر الميلادى

مقدمة :

ساد أوروبا تفكير أطلق عليه اسم الواقعية ويقصد به إدراك الحقيقة على أسس فلسفية علمية ويسعى إلى الاصلاح الخلقى للمجتمع فى مجالى الدين والسياسة وتنقسم الواقعية هذه إلى مذاهب أهمها المذهب الإنسانى الواقعى ويهدف إلى التوصل إلى معرفة الدوافع الإنسانية ونظم الحياة البشرية . والحياة وارتباطها بالطبيعة. ومن أشهر مفكرى هذا المذهب ارازمس الهولندى ورابليه ١٤٨٣- ١٥٥٣ ويوحنا ملتون ١٦٠٨ - ١٦٧٤م.

والمذهب الاجتماعى الواقعى : ويقصد به أنه مذهب تربوى حاز القبول فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، ونادى بتربية الإنسان ليحيا حياة الرجل الاجتماعى أو رجل الدنيا. ورأى أصحاب هذا المذهب أن تعنى التربية بالرحلات طويلة الأجل لتنمى تجارب الفرد وتبصره بأحوال الناس وعاداتهم وتكسبه معارف عملية نافعة. هذا إلى أن احتكاكه المباشر بالأماكن والشعوب يحى فى نفسه المعارف الثقافية التى استفادها من دراسته الأدبية. وبمعنى آخر عولت هذه التربية على مدرسة التجارب أهمية كبرى، ولا ينبغى أن نفهم بأن الدراسات أصبحت فى نظرهم لا تمثل أهمية لكنها صارت ذا منزلة ثانوية إذ أنها ليست غاية بل وسيلة جزئية ناقصة لغاية

وراءها. وكذلك ظهرت الواقعيـــة الحـــسية Sense Realism ويقـــصد أصحاب هذا المذهب أن التربية يجب أن تؤسس على الإدراك الحسى أكثـــر مما يبنى على نشاط الذاكرة. وأن يتجه الاهتمام بأنواع مختلفة مـــن المـــواد واعتقدوا أن التربية عملية طبيعية أكثر منها عملية صـــناعية وأن القواعـــد والمبادئ التى يجب أن تؤسس عليها التربية يمكن الكشف عنها فى الطبيعة، ونتيجة لذلك ظهر اتجاهان لدى اصحاب هذه الواقعية. اتجاه يعتمـــد علـــى البحث العلمى. والتفكير المنطقى أكثر من الاعتماد على الخبرة العملية فـــى صنع علم فلسفة التربية. واتجاه نحو احلال المواد المـــستمدة مـــن العلـــوم الطبيعية. ومن الحياة المعاصرة محل المواد الأدبية واللغويـــة فـــى بـــرامج الدراسة. وينادى أصحاب هذا المذهب بدراسة الطفل وتكييف عملية التربيـــة تبعاً لميوله. واتفقوا على أن الطفل يجب أن يحيط بالفكرة أكثر ممـــا يحـــيط بالأسلوب اللغوى ويجب أن يفهم الشئ قبل أن يعرف الكلمة. وبعبارة أخرى يجب أن يعرف الكلمة بواسطة معرفة الشئ. ومن أشـــهر ممثلـــى الحركـــة الحسية والواقعية فرنسيس بيكون (١٥٦١ – ١٦٢٦ م) وهو إنجليزى كـــان أبوه حاملاً لاختام الملكة الياصبات. وجده لأمه كان مربياً لأدوارد السادس. درس بيكون القانون. وصار عضواً بالبرلمان. وتولى منصب قاضى القضاه عام ١٦١٨م وعمل بالكتابة وإليه يرجع الفضل فى أنه وضع للعلم والتعلـــيم أساساً جديداً برغم قلة اهتمامه بالقضايا التربوية. لقد نادى بفضل المعرفـــة العملية فى الوقت الذى عارض فيه المعلومات النظرية. وركز على أهميـــة علم الطبيعة وعلم المجتمع وجعل لهما أهمية تعلو أهمية علم اللاهوت وعلم الأخلاق وفلسفة ما وراء الطبيعة التى كانت سائدة فيما قبل .

ألف بيكون كتابه " التجديد العظيم " Instaraties Magna من ست أجزاء قال فيه " من العبث أن نتوقع تقدماً ملموساً فى العلم على الأسس التفكيرية التى توصل إليها الاقدمون. وعلينا أن نبدأ بدءا جديداً. إلا اذا كنا نريد أن نظل إلى الأبد فى دائرة متمسكين بمشروعات دنينة مستهجنة".

حاول بيكون أن يضع الخطوط الرئيسية للفكر فى عمره وبعده وكان لذلك أثره فى مواد الدراسة. وفى طرق التربية الحديثة. أما المعرفة التى رآها ضرورية للرفاهية الإنسانية فهى تلك التى تؤسس حول الطبيعة. ومهمة التربية فى المدارس. نشر الطبيعة العلمية لأنها تصبح فى متناول كل طفل. وحينما تذاع وتنشر فإن مشكلات المجتمع وخاصة المتعلقة بالاختلاف فى نظم الحكم والعقائد ستجد من يتصدى لحلها. كما اعتقد بأن التربية المسماة باسم تقاليد والتى تهدف إلى نقل التراث من السلف إلى الخلف ينبغى أن تكون موضوعاً للدرس فى ذاتها لأنها أهم عمل اجتماعى.

وعن طريقة التربية يقول " للبحث عن الحقيقة طريقتان : الأولى الانتقال من الاحساس ودراسة الجزئيات إلى القواعد والمبادئ العامة. ومن هذه المبادئ العامة وما يتضمنها من حقائق يقينيه تنتقل إلى مبادئ أخرى أقل منها عموماً. وهذه هى الطريقة المتبعة الآن. والآخرى هى صوغ المبادئ العامة النهائية بطريق الاحساس وفحص الجزئيات والاستمرار فى الصعود التدريجى مما هو عام إلى ما هو " أعلم حتى نصل إلى المبادئ والأصول العامة البالغة أقصى درجات العموم وهذه هى الطريقة المثلى لكنها لم تطبق حتى الآن .

والطريقة الجديدة محورها الهدف المنشود وهو مشكلة علمية يراد حلها عن طريق الملاحظة وفحص العناصر وتحدد المبادئ بطريقة الاستقراء

وبذلك يمكن الوصول إلى الهدف العلمى عن طريق تطبيق المبدأ العام بالطريقة القياسية على المشكلة العملية التى هى قيد البحث ونتيجة لذلك يجوز الاختراع .

وفى كتابه الاداة الجديدة أبرز الصعوبات التى تعترض الكشف عن المعرفة. وقسم هذه الصعوبات إلى أوهام القبيلة وهى تلك الأوهام الدفينة فى الطبيعة البشرية فى ذاتها وفى أفراد القبيلة أو الجنس البشرى. وأوهام الكهف وهى المتعلقة بالميول الشخصية للفرد. وأوهام السوق وهى تلك الناتجة عن العادات والتقاليد الاجتماعية. وما يتبعه الإنسان فى علاقاته الاجتماعية وأوهام المسرح وهى التى تعتمد على القوانين والتقاليد والعقائد التى لا تستند إلى دليل. وعلى هذا فالابتكار لا يمكن التوصل إليه إلا بتفسير الطبيعة دون تدخل من هذه الأوهام.

نتج من كتاباته أن اعتمد المعلم على التجريب وتكمن أهمية أفكار بيكون فى أنه نادى بها فى زمن كان الناس فيه يحقرون من شأن العلم لاعتقادهم أن الاخرة هى محور كل علم وأن صفة العلماء فى الدنيا تمثل فى الزهد كما نادى أيضاً بوجوب اعادة تربية الإنسان على أساس علمى وأن المدارس إذا استطاعت أن تنشر العلم فإن ذلك كفيل بحل المشكلات التى اعترضت البشرية.

وأيضاً من أشهر ممثلى الحركة الواقعية الحسية جون اموس كومينوس (١٥٩٢ - ١٦٧٠م) وهو تشيكى بدأت مؤلفاته تشد الانتباه نتيجة جهود مؤرخى التربية الالمان. فاحتلت مكانتها فى عالم الاصلاح التربوى. عمل فى بدء حياته راعياً لجماعة الاخوان المراقبين البروتستانت. وعمل بالتدريس عام ١٦٥٠م وعين مديراً للمدرسة الثانوية الجمنازيون بمدينة

ساروس باتوك بالمجر وبذلك كانت آراؤه التربوية مزيجاً من الأفكار النظرية والتطبيقات العملية. وظهرت أفكاره التربوية فى كتابه المرشد العظيم Great Didactic عام ١٦٢٣م. وفيه يرى أن الإنسان يقع على قمة المخلوقات وأنه قادر على فهم عمل الله وحكمته لأنه كائن عاقل ولكونه عاقلاً فعليه الالمام بالمعرفة كلها وعليه أن يتعلم كيف يتوكل على الله. وبذا تكون التربية فى رأيه هى المعرفة والفضيلة والتقوى وأن الدين يجب أن يتخذ التربية وسيلة للتأثير فى الناس والوصول بهم إلى الأهداف العليا، كما يتخذ وسيلة لاصلاح المجتمع. وهدف التربية فى نظره هو مساعدة الإنسان على الوصول إلى السعادة الابدية بالاتصال بالله .

وقد أثرت افكاره التربوية فى النواحى المتعلقة بمواد الدراسة والتنظيم المدرسى والكتب المدرسية وطرق التدريس، كما نادى بعدة مبادئ من شأنها أن يصل الإنسان إلى معرفة الله والطبيعة والفن. ومما تجدر ملاحظته أنه بوصفه لاهوتيا لم يكن ميالاً إلى الطريقة التجريبية إلا قليلاً، وكثيراً ما كان يبرهن على صدق أفكاره بالاقتباس من الكتاب المقدس. كما كان يرى أن المعرفة تأتى عن طريق الحواس والعقل. كما ذكر أن العلم يتكون من عناصر رئيسية هى المادة والروح والنور. ويذكر له أنه وضع أصولاً عامة لطرق التدريس وهى :

- كل ما ينبغى أن يعرفه الطفل يجب عليه أن يتعلمه. ويكون التعلم بعرض الشئ أو الفكرة مباشرة على الطفل لا يعرض نموذج الشئ أو رمزه.
- يجب أن يتعلم الطفل كل ما له قيمة عملية فى حياته اليومية.
- يجب أن يعلم الطفل بطريقة سهلة خالية من التعقيد .

- يجب الاشارة إلى أسباب وجود الشئ عند تعلمه .
- يبدأ أولاً بشرح المبادئ الأولية ثم يذكر بعدها التفصيلات.
- تشرح كل عناصر الموضوع دون استثناء حسب ترتيبها وعلاقاتها .
- يقتصر على تعلم شئ واحد فى المرة الواحدة .
- لا يترك الموضوع دون أن يفهم تماماً .
- يجب أن تؤكد الفروق التى توجد بين الأشياء لمختلفة حتى تكون المعرفة التى يكتبها الإنسان عنها معرفة واضحة لا ليس فيها ولا غموض .

وقد أدت هذه المبادئ إلى نجاح المعلمين فى تدريس اللغات والظواهر الطبيعية والاجتماعية. كما كان لكتاباته أثرها فيما بعد فقد نادى المربون بضرورة تدريب الحواس وأهمية استخدام المحسوسات والرسوم فى التدريس وأهمية عملية الربط فى التعليم ملاحظة الطبيعة ودراستها .

ومن بين جماعة الفلاسفة المعروفين باسم الإيجابيين الذين ابعدوا الفلسفة عن نظريات ماوراء، الطبيعية ووجهوها إلى التجارب العملية. جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٠٤م) وهو انجليزى تلقى تعليمه الأولى حتى الرابعة عشرة بالمنزل على يد والده ثم التحق بمدرسة وستمنستر. وبعدها تخرج من كلية الطب، لكنه لم يعمل بالطب. واشتغل بالسياسة وزوال التدريس كاستاذ لليونانية والخطابة والفلسفة فى جامعة اكسفورد. وصار بعد ذلك مربياً لابن كونت شافتسبورى وبفضل عمله هذا أصبح له آراء وأفكار تربوية. ففى عام ١٦٩٠م ألف كتابه " محاولة على العقل الإنسانى ". وفى عام ١٦٩٣ م ألف كتابه " آراء فى التربية " وفها يقول أن الأفكار غير فطرية فى الإنسان إنما هى مكتسبة عن طريق التجارب القائمة على الاحساس والإدراك الحسى،

وحصر التعليم فى العلوم ذات القيمة العملية كالقراءة والكتابة والحساب والرياضيات والرسم والرقص. وقد أهتم بأنواع ثلاثة من الترتيبات هى : التربية البدنية والتربية العقلية والتربية الخلقية، وأولى النوع الأخير أهمية خاصة فهو يرى أن التربية ما هى إلا تهذيب. وأن كل ما يهدف إليه المجهود الفكرى هو حب الحق. وأن العقل هو الذى يقود الإنسان إلى الوصول إلى الحق وإلى كل نشاط قيم فى الحياة. ولكن العقل لا يتسطيع الوصول إلى الحق إلا إذا تمت تربيته لهذا الغرض .

كما يرى أن المعرفة جميعها تأتى عن طريق الإدراك الحسى والإدراك العقلى أى من التجربة والخبرة، كما يرى أن العقل صفحة بيضاء تأتيه قواه وميزاته من الخارج بطريقة تكوينه العادات ، كما يرى أن العقل ينمو بالتدريب والتهذيب الذى يقوى مختلف استعدادات انسان وهذا لا يتحقق بالدراسة والقراءة ولكن بالتفكير والتأمل . ويميز لوك بين التربية والتعليم فالأولى فى نظره عملية تهذيبية . أما التعلم فهو طريقة من طرق التربية العقلية ويرى أن الفضيلة يمكن الحصول عليها بطريق تكوين العادات تهذيب طويل للميول والرغبات وأهم شئ هو تكوين العادة وأهميتها فى التربية تفوق أهمية الفكر. والتربية التى تستند على التهذيب الخلفى يمكن الحصول عليها عن طريق تدعيم سلطة الوالد أو المعلم .

وعارض فكرة العقوبات الجسدية لأنها ضد تعلم الفضيلة وتنمية الشعور بالكرامة وربط بين التربية الخلقية والتربية الجسدية. إذ جعل من الثانية أساساً للأولى. وذلك لاعتقاده أن الخلق القويم لا يكون إلا فى الجسم السليم . كما أوضح أهمية تنمية حب الاستطلاع لدى الطفل كعامل قوى للتعليم. كما ابرز أهمية اللعب فى عملية التعلم. كما كان يفضل نظام التلمذة

على يد مرب خاص وليس فى المدرسة وينصح بتعلم السباحة على أنها أحدى وسائل التربية . وعارض فكرة الحفظ عن ظهر قلب وأوضح أهمية اللغة اللاتينية فى تكوين الرجل المهذب. كما كان يرى أن الكتب ليست أمراً ضرورياً فى التربية. ويعتقد أن الطفل يتعلم من الوجهة الخلفية بتركه يتحمل مسئولية ما أرتكب من أخطاء. وبذلك يكون قد وضع أساس المذهب الطبيعى فى التربية. ويدين له جان جاك روسو بالفضل فى تشكيل النزعة الطبيعية فى التربية فيما بعد .

ظهر جان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨م) يدعو إلى مذهب طبيعى فى ظل ظروف سادت فيها الشكلية والمظهرية. وسادت أنظمة عرجاء لمجتمع زائف. كما سادت أنماط سلوكية جامدة حتمها الفكر القائم وتسلطت على أمور الحياة ارستقراطية ممعنة فى اباحتها غارقة فى ملذاتها دون أدنى معارضة .

فى هذا المناخ ظهر روسو وهو فرنسى ولد فى جنيف. وماتت أمه أثناء ولادته. ورباه والده صانع الساعات حتى العاشرة ثم كفله اقارب والدته. ألف كتابه الاعترافات Confessions أوضح فيه بصراحة بلغت درجة الوقاحة مسيرته فى الحياة. وفيه يقول :"تعلمت الكذب والسرقة والمكر والجبن" ويظلم بذلك بقسوة الظروف التى عاشها فقد فشل فى تعلم النقش، وصاحب أهل السوء فساءت أخلاقه تحول من الكاثوليكية إلى البروتستانتية. حاول أن يعمل بالتدريس وتربية أطفال أحدى عائلات ليون بفرنسا لكنه فشل كمعلم. تزوج من تيريز وهى جاهلة غبية انجب منها خمسة أطفال أودعهم جميعاً الملاجئ.

لقد ساعدت هذه الحياة القلقة " روسو" فى كتاباته فقد عبر بإيمان وصدق دون زيف فانتصر للعامة ونادى بالحرية والمساواة وطالب بالعدالة الاجتماعية فى وقت عز فيه المناداة بمثل تلك المبادئ فلم يعبأ بما ساد عصره من ظلم عادات وافكار غريبة .

كتب العقد الاجتماعى " The Social Contract" وعنه قال نابليون بونابرت لولا روسو ما قامت الثورة الفرنسية قائمة، ألف بحثاً بعنوان " تقدم الفنون والعلوم " أوضح فيه أن العلوم والفنون لم تعمل على تطهير الأخلاق بل عملت على إفسادها، كما كتب بحثاً آخر بعنوان " أسباب عدم المساواة بين الناس تناول فيه مجتمعاً بدائياً فوصفه وصفاً خيالياً لا يشعر فيه الإنسان بعنصر الرذيلة لأنه لا يعرف الطيب من الخبيث. ويملأ قلبه بالفضيلة البدائية المتمثلة فى الشفقة. تلك الفضيلة التى تحل محل القانون والعادات والتقاليد . وفى كتابه الفقر صورة لبعض الوحوش من ذكور وإناث متناثرين فى الحقول لونهم أسود احرقتهم الشمس يحفرون الأرض لهم صوت واضح . يظهر وجههم البشرى حين يطلبون قاماتهم. فهم فى الواقع بشر .

ويعنينا من كتاباته ما يتصل بالتربية خاصة كتابه أميل وهو قصة من خمسة أجزاء نصفها روائى ونصفها الآخر عرض ارشادى يقص فيها التربية الحقة للشباب وذلك عندما سألته سيدة عن كيفية تربية طفلها .

استهل أميل بقوله " كل شئ حسن ما دام فى يد الطبيعة وكل شئ يلحقه الدمار إذا مسته يد البشر نحن نستمد تربيتنا من مصادر ثلاث هى الطبيعة والإنسان والأشياء، فإذا لم يتلاءم التربية الناتجة عن تلك المصادر ساء تربية الفرد ويعتقد أنه لا حيلة لاصلاح الحياة الاجتماعية إلا تربية

الإنسان تربية طبيعية بعيدة عن مؤثرات المجتمع وفى أهمية التربية يقول : نولد ضعفاء، نكون بحاجة إلى القوة، نولد عزل من كل شئ ونكون بحاجة إلى المساعدة ونولد أغبياء ونكون بحاجة إلى الحكمة كل ما ينقصنا عند الولادة ونكون بحاجة له ونحن راشدون يأتينا من التربية .

وتهدف التربية لديه إلى تهذيب قوى الطفل العقلية وتجعله قادراً على تثقيف نفس بنفسه لا حشو راسه بالمعلومات. وفى هذا يقول " ليس هدفى أطلاقاً أن أعطى الطفل العلم بل أعلمه كيف يكتسبه عند الحاجة. وكيف يقدره حق قدره، وأن يحب الحقيقة ويغلبها فوق كافة الأشياء. "ويرى أن خير عادة ألا يكون للإنسان عادة. فالتربية وفقاً لإرادته معناها أن الانفعالات الفطرية هى أصدق أساس للعمل ومن التفكير والخبرة الناشئة عن الإرتباط بالاخرين، فالفرد الطبيعى ليس همجياً ولكنه إنسان تحكمه وتسيره قوانين طبيعية. وهو يهاجم التقاليد فهى فى نظره مظاهر زائفة واستعباد. فعن طريقها تهمل طبيعة الطفل وتنسى عوامل اسعاده. وفى هذا يقول " الحكمة البشرية جميعها لا تحتوى إلا على تحكمات استبعادية. فعاداتنا لا تعدو أن تكون أذلالا واستعباداً وكبتا . فالرجل المتمدين يولد ويعيش ويموت فى حالة عبودية. يلف عليه قماط يوم ميلاده ويوثق بالاكفان ويغلق عليه الثابوت يوم وفاته، ويفيد باغلال النظم المختلفة ابان حياته. ويرى أن التربية السيئة التى تأتى عن طريق الإنسان يجب أن يقابلها تربية أخرى يصدرها الطبيعة الامنة التى لا يعتريها خوف بحيواناتها ونباتاتها وقواها المختلفة. كما كان يعتقد أن المدن ليست سوى مقابر للجنس البشرى من الناحيتين الخلقية والطبيعية. وبذلك كانت فكرته العدائية لحياة الإنسان فى المجتمع هى المشكلة لارآئه فى تربية " أميل " والتى أوضحها على النحو التالى :

- **الاعداد الجسمى** : وتبدأ من الميلاد إلى الخامسة. وفيها يكون الوالدان هما المعلمان لابنهما ولا تخرج مهمتهما عن الاعداد الجسمى عن طريق عدم التحكم فى حريته فلا يجب لفه بالفماط ولا يعيش داخل جدران منزل. ولا يقاومان رغباته وميوله ولا يتعرض للعقاب دون معرفة أسبابه. ويقول روسو كلما كان الجسم قوى فيها كلما كان الطفل مطيعا . وكلما كان الجسم ضعيفا كلما وجدت الرغبات الشهوانية فيه ممكنا فكل ضعف يخلق ضعفا .

- **فترة التعلم من الطبيعة** : وتمتد هذه الفترة من سن الخامسة إلى الثانية عشرة. وفيها يقول روسو: لا تفعل شيئا من شأنه ارغام الطفل على التفكير. فدع عقله فى سباته قدر الأمكان. فالطفل لا يحتاج إلى تعلم القراءة ولا شيئا عن الكتب أو غيرها من نوافذ المعرفة . لكنه من ناحية أخرى يمكن تعلم التفكير والتنبؤ من الطبيعة والاحتكاك بمظاهرها وقواها فهو يتعلم منها كيف يعيش ؟ وكيف يعبر ؟ وكيف يزن وكيف يقارن ؟ وكيف يلخص ؟ ويختبر النتائج ويكتشف التنظيمات والمبادئ . وبمعنى آخر فتربية هذه المرحلة سلبية كما أن التربية الخلفية يجب أن تكون عن طريق الجزاء الطبيعى .

- **التعلم عن طريق حب الاستطلاع** : وذلك فيما بين سن الثانية عشرة والخامسة عشرة. وفى هذه الفترة يمكن تزويد الفرد بالمعلومات. والمعرفة عن طريق حب الاستطلاع . وبذلك يمكن قراءة كتاب روبنسون كروزو وهو كتاب مدرس الحياة وفقا لقانون الطبيعة . كما يدرس الاعتماد على الذات ويعين فائدة المعارف. وفى هذه الفترة يتعلم الفرد حرفة . ويتحلى بالصبر والحزم والشجاعة .

- **والتربية الخلقية والدينية :** ويتم ذلك فى الفترة ما بين سن الخامسة عشرة والعشرين من عمر " اميل " بعد أن يكون قد تكونت شخصيته جسما وحواسا وعقلا . وتعلم بنفسه من أجل نفسه . عليه بعد ذلك تشكيل قلبه وتدريبه على العلاقات الاجتماعية تصبح محبة الآخرين هى الدافع الموجه لسلوكه . ولما كان أميل حتى الآن لا يعرف الأوجوده المادى فقد وجب أن يدرس علاقته بالأشياء، وبذلك تكون هذه الفترة هى فترة التربية الخلقية والدينية . فحب الذات الذى ينطوى تحته الخير والشر يحب توجيهه الآن نحو حب الخير . دون تردد وأساس هذا بداية الشعور بالحب والكراهية تبدأ تباشير الشعور بالخير والشر . وفى هذا يمكن الاقتداء بدراسة التاريخ حتى يمكن تلقى الخبرة التى مر بها الآخرون خاصة الضارة منها التى لا يمكن أن يمر بها الإنسان بنفسه .

تربية المرأة (صوفيا زوجة أميل) :

يرى روسو أن هدف تربية المرأة هو اسعاد الفرد طفلاً وشابا وزوجا . وحيث أن سعادته تتوقف على تربيتها فيجب أن تكون رشيقة قوية سليمة الجسم . تجيد فنون الطهى والتطريز والموسيقى والعناية بالأطفال . وليس من الضرورى أن يتعلم أية علوم عقلية . فهو يقول أن المرأة المثقفة وباء لزوجها ولأطفالها ولخدمها ولكل فرد .

ويلاحظ فى آرائه هذه تناقض فيما نادى به بأن يتعلم كل فرد لنفسه وأن يهتدى فى ذلك بحاجاته وحقوقه الذاتية .

كانت تربية أميل نقطة تحول فى احترام حرية الطفل الإنسان فقد نادى بأن مادة التربية يجب أن تكون قوامها الحقائق والظواهر الطبيعية .

فالجغرافيا يجب أن تدرس فى الغابات والحقول والتلال كما تتم دراستها عن طريق الملاحظة فتدرس درجات الحرارة والقنوات والمياه . ويدرس الفلك عن طريق الكواكب نفسها لا عن طريق أشكالها ويدرس النبات بفحصه ومعرفة الحقائق الفردية فى علم الطبيعة والكيمياء بالمشاهدة والتجربة . ويجب أن تنحصر مادة جميع العلوم فى البيئة المحلية أولاً ثم يتعداها إلى البيئة الخارجية . ويجب إلا يلجأ إلى الصور إلا إذا تعذر الحضور على مدلولها لأن الصورة من شأنها أن تنسى الطفل مدلولها باستغراقه فيها .

كان روسو يرمى إلى الخضوع للمظاهر الطبيعية لاستفاء المادة والاحتكاك بالطبيعة والابتعاد عن الكتب لاستخلاص الحقائق .

لم تكن التربية السلبية فى نظر روسو تعنى ألا تكون تربية مطلقا وأنما كان يريد أن يخالف ما كان معهودا من النظم التربوية حينذاك . فالتربية السلبية ليس معناها فترة سكون وكسل بل هو ابعد من ذلك . وهى لا تسبب الفضيلة . ولكن تحمى الإنسان من الرذيلة . وتوجهه للسير فى الطريق الذى يؤدى به إلى الصدق . إلى أن يصل إلى السن التى يفهم فيه الصدق ويعرف محاسنه ويكتسب القدرة على معرفته ومحبته .

وتطبق التربية السلبية فيما يتعلق بالتربية الجسمية يتطلب مطلب الحرية للطفل وأبسط أنواع الأغذية والبعد عن كافة أنواع العلاج الطبى . والعيش فى الهواء الطلق فى الريف .

وتطبق التربية السلبية فيما يتعلق بالتربية العقلية معناه اغفال الاهتمام بالأعداد العقلى حتى بعد سن الثانية عشرة ففترة الطفولة هى فترة ركود عقلى وثبات فكرى من وجهة نظره .

وتطبيق التربية السلبية على الناحية الخلفية معناه تطبيق قانون الجزاء الطبيعى . دع الطفل يتحمل النتائج الطبيعية لأعماله دون تدخل أى إنسان ليقوم بعملية الدفاع أو العقاب . ومعنى هذا أن المربى يمكنه تقويم أخلاق الطفل طالما تمكن من أن يبين له أن العقوبة كانت طبيعية وأنه لا دخل للعامل الإنسانى فيها مطلقا فإذا كسر اميل النافذة فدعه يعانى من برودة الجو فى حجرته . وإذا انخرط فى الأكل فاتركه حتى يمرض . وإذا تباطأ فى ارتداء ملابسه للخروج للنزهة فاتركه بالمنزل . وإذا لم يؤد ما فرض عليه من واجبات فاتركه جائعا .

غير أن الأمر يقتضى أبراز بعض أوجه النقد لمثل هذه التربية التى نادى بها روسو .

تؤدى هذه التربية إلى الحكم على جميع الأعمال من نتائجها لا من دوافعها . وهذا لابد أن يؤدى إلى الحذر أكثر مما يؤدى إلى بناء الفضائل والأخلاق وهى لا تتكون نتيجة تجنب النتائج الضارة . لذاتيتنا وخصوصا إذا وضعنا فى الاعتبار أخلاق الطفل .

تتوقف قيمة هذه التربية على قدرة الطفل على ربط الأسباب بالنتائج وهذا لن يتوفر حتى سن الخامسة عشرة على الأقل وهى المرحلة التى لا يتعلم فيها الطفل كما رآها روسو.

تنكر هذه التربية خبرة الآخرين المتمثلة فى العادات والتقاليد والأدب والتاريخ . بمعنى آخر يتهم روسو خبرة الآخرين بأنها عديمة القيمة فى تربية الإنسان . وهذا غير مقبول ولا معقول .

ومما تجد الإشارة إليه أن المجلس العالى الفرنسى قرر فى ١٧٦٢/٦/٩م أحالة روسو وكل من ساهم فى طبع ونشر كتابه هذا إلى المحاكمة وجاء فى هذا القرار ما يلى : لما كانت المبادئ الواردة فى هذا الكتاب تشكل فى مجموعها نظاما غير قابل للتطبيق . ويحوى شروح تتنافى الحشمة والحياء وتفويضا لمبدأ طاعة الحكومة . وأضعاف محبة واحترام الشعوب لملوكهم . وما سيكون فى حال أطفال يربون على مبادئ من هذا القبيل سوى رجال دأبهم الشك مستسلمين لأهوانهم . ساعين وراء ملذات الحواس محبين لذاتهم . لا يسمعون سوى صوت الطبيعة فأى نوع من الضوابط تكون مسئولة عن تكوين رجال الدين والدولة . أنهم بالضرورة سيشبون على أسس تربوية تثير الهول فى النفوس .